عبد الوهاب المسيري

من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟

أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية



دار الشروق

Preview sample - page 1 of 13 - Soran University Academic Digital Library

المحتويات

مقدمة ٩

علامات الترقيم ١٧

الباب الأول: تنوع الهويات اليهودية

الفصل الأول: الجماعات اليهودية الأساسية ٢١

الأسس المعرفية للمفهوم الصهيوني للهوية اليهودية ٢١

السفارد ٢٣

الإشكناز ٢٨

التناقض بين السفارد والإشكناز ٣٠

الإسرائيليون ٣٨

الفصل الثاني: الجماعات اليهودية الهامشية ٥٧

يهود الهند ٥٧

يهود الصين (يهود كايفنج) ٦٣

يهود القوقاز ٦٧

اليهود السود ٧٢

الخزر ٨١

المارانو ٨٥

جماعات هامشية أخرى ٩٠

الفصل الثالث: تاريخ الهويات اليهودية ١٠١

تاريخ التعريفات الدينية للهويات اليهودية ١٠٢

Preview sample - page 2 of 13 - Soran University Academic Digital Library

اليهودية الإصلاحية والمحافظة والأرثوذكسية ١٠٤
اليهودية الإصلاحية والمحافظة تصل إلى إسرائيل ١٢١
تاريخ الهويات اليهودية حتى الوقت الحاضر ١٢٣
الخريطة العامة للهويات اليهودية في الوقت الحاضر ١٣٣
الفصل الرابع: ظهور الهويات اليهودية واختفاؤها ١٣٦
اختفاء الإثنية اليديشية ١٣٦
اليهود الجدد ١٤٠
أتون الصهر ١٤٩
نحو نموذج مركب أكثر تفسيرية ١٥٣

الباب الثاني: تواريخ وثقافات وفنون الجماعات اليهودية

الفصل الأول: تاريخ يهودي أم تواريخ الجماعات اليهودية؟ ١٥٩
هل هناك تاريخ يهودي؟ ١٦٠
المسألة أم المسائل اليهودية؟ ١٦٥
العبقرية والجريمة اليهودية ١٧٠
الرؤية الصهيونية للتاريخ ١٧٢
الاستمرار اليهودي ١٧٨
الفصل الثاني: شعب يهودي واحد أم جماعات يهودية عديدة؟ ١٨٤
عقائد الجماعات اليهودية ١٨٤
الإثنيات اليهودية ١٨٩
الثقافة اليهودية ١٩٣
المثقف اليهودي: من هو؟ ١٩٨
مفكرون يهود يهاجمون اليهود واليهودية ٢٠٣
صهيونية ضد اليهود واليهودية ٢٠٧
اسم على غير مسمى ٢١١

Preview sample - page 3 of 13 - Soran University Academic Digital Library

الفصل الثالث: فنون أعضاء الجماعات اليهودية ٢١٧
فنون الجماعات اليهودية ٢١٧
أعمال فنية يهودية؟ ٢١٩
فنانون من أعضاء الجماعات اليهودية ٢٢٤
الفن الإسرائيلي ٢٣٠
الجماعات اليهودية و فن العمارة ٢٣٣
إشكالية المتحف اليهودي ٢٣٦
موسيقى أعضاء الجماعات اليهودية ٢٣٩
رقصات أعضاء الجماعات اليهودية ٢٤٦
الفصل الرابع: فلكلور وأزياء ولغات وآداب الجماعات اليهودية ٢٥٣
فلكلور وأزياء الجماعات اليهودية ٢٥٣
لغات الجماعات اليهودية ٢٥٨
آداب الجماعات اليهودية ٢٦٢
من هو الأديب اليهودي إذاً؟ ٢٦٦

الباب الثالث: سؤال الهوية وأزمة المجتمع الصهيوني

الفصل الأول: الهاجس الديموجرافي وسؤال الهوية ٢٧٩
الهولوكوست الصامت ٢٨٠
الجغرافيا السياسية لصراع الأرحام ٢٨٦
إلغاء قانون العودة ٢٩٠
الفصل الثاني: من هو اليهودي إذاً؟ ٣٠٠
التعريفات الصهيونية للهوية اليهودية ٣٠١
التناقضات الحتمية ٣٠٩
الوضع الراهن ٣١٣
تفجر القضية ٣١٧

Preview sample - page 4 of 13 - Soran University Academic Digital Library

اليهودي الصفر ٣٢٤
ادعاء اليهودية ٣٢٩
استجابة أعضاء الجماعات اليهودية للمحاولات الصهيونية لاختزالهم
والهيمنة عليهم ٣٣١
من هو اليهودي: منظور إسلامي ٣٣٦
الفصل الثالث: يهودية الدولة الصهيونية؟ ٣٤٥
دولة يهودية أم دولة اليهود؟ ٣٤٥
هل إسرائيل حقا دولة يهودية؟ ٣٥١
تصاعد التوجه نحو اللذة وغياب المعايير ٣٥٥
التهويد العلماني ٣٥٩
الشذوذ الجنسي ٣٦٢
الدولة اليهودية والحيوان المسعور ٣٦٩
مادونا والقبالاه والجنس ٣٧٥
الدولة الصهيونية وأسلحة الدمار الناعم ٣٨٣
مؤلفات ٣٨٧

Preview sample - page 5 of 13 - Soran University Academic Digital Library

مقدمة

ثمة انطباع عام في الأوساط العربية، تروج لها النخب الحاكمة والإعلام التابع لها، مفاده أن الصهيونية مشروع ناجح تماما. ألم يتم تأسيس الدولة وبالتالي حقق الصهاينة كل ما يصبون إليه من أهداف وغايات؟ ولا يمكن إنكار أن في هذا القول شيئا من الحقيقة، فانتصارات الدولة الصهيونية العسكرية، ووجود ما يزيد على ستة ملايين مستوطن صهيوني في فلسطين وسط العالم العربي، هو إنجاز استعماري استيطاني إحلالي لا ريب فيه. ويعود هذا النجاح إلى عدة أسباب من بينها أن الصهاينة اكتشفوا الإمبريالية الغربية باعتبارها الآلية الأساسية في القرن التاسع عشر لتنفيذ أي مشروع استعماري، فكل من كانت عنده مشكلة يود حلها ويطرح مشروعاً لتحقيق ذلك الهدف، ما كان عليه إلا أن يتبنى الحل الدارويني السحري وهو الحل الإمبريالي، أي تصدير المشكلة إلى الشرق. وفي حالة الصهيونية كان الحل الصهيوني الإمبريالي هو تصدير ما كان يُطلق عليه «الفائض البشري اليهودي (بالإنجليزية: Jewish human surplus)» إلى أي مكان خارج أوروبا، ثم استقر المخطط الإمبريالي على فلسطين نظراً لموقعها الإستراتيجي ولأنه من السهولة بمكان إقناع الفائض البشري اليهودي بأن تهجيره إلى فلسطين ليس محاولة للتخلص منه وإنما هو «عودة إلى أرض الميعاد»، إلى آخر هذه الترهات. وبالفعل قامت الإمبريالية الغربية بتأسيس الدولة الصهيونية لتستوعب هذا الفائض ولتكون قلعة أمامية تدافع عن مصالح العالم الغربي في المنطقة. وقد قامت هذه الدولة الصهيونية بدورها كقاعدة للاستعمار الغربي بكفاءة عالية، بسبب ضعف المقاومة العربية، وتخاذل الدول العربية، الأمر الذي ضمن لها استمرار الدعم الغربي، العسكري والسياسي والاقتصادي.

Preview sample - page 6 of 13 - Soran University Academic Digital Library

إلا أن ثمة مواطن ضعف إلى جانب مواطن القوة هذه. فالصهيونية تطرح نفسها علي أنها أيديولوجية إصلاحية تهدف إلي تأسيس و طن قومي للشعب اليهودي، من خلال ما يسمى في المصطلح الصهيوني «نفي الدياسبورا» (بالإنجليزية:negation of the diaspora)، أي تصفية الجماعات اليهودية في أنحاء العالم، ونقل اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها بعد طرد الفلسطينيين العرب من وطنهم، وأنها ستحول اليهود إلى شعب منتج (بالإنجليزية:productivization of the Jews). ومن المعروف أن ثمة مسافة تفصل بين الأيديولوجية الإصلاحية والواقع المطلوب إعادة صياغته، انطلاقاً من المثل الأعلى الذي تحاول هذه الأيديولوجية تحقيقه على أرض الواقع. ولكن حتى يمكن لها أن تغير الواقع لابد أن تكون المسافة المشار إليها معقولة وإلا تحولت إلي أيديولوجية فاشية. وسيلاحظ الدارس المدقق، والذي لم يقع تحت سطوة المصطلحات الصهيونية والتي تبنيناها دون وعي بالمفاهيم الكامنة وراءها، أن المسافة التي تفصل البرنامج الإصلاحي الصهيوني عن الواقع مسافة أقل ما توصف به أنها شاسعة. فالبرنامج الصهيوني يتطلب عمليتي تهجير (ترانسفير): نقل الفلسطينيين العرب من فلسطين إلي خارجها، ونقل الجماعات اليهودية من أوطانهم إلي فلسطين. وعمليتا الترانسفير تستندان إلي تصور أن فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، وهو تصور خاطئ في جانبيه. ففلسطين لم تكن أبدا أرضاً بلا شعب (فلسطيني)، وأعضاء الجماعات اليهودية لم يكونوا قط شعباً واحداً، يتسم بالوحدة وله هوية واحدة، يبحث عن أرض، أي وطن قومي. كما أن أعضاء الجماعات اليهودية لم يكونوا قط في مجموعهم طفيليين، غير منتجين. ونحن نعلم تمام العلم أن الصهاينة أخفقوا في الجزء الخاص بالفلسطينيين. فلم يتم تهجير الفلسطينيين وبقيَ مئات الآلاف منهم في فلسطين التي احتلت عام ١٩٤٨، بل إنهم ازدادوا عدداً ووعياً بهويتهم العربية الفلسطينية. وقد أخفق الصهاينة مرة أخرى في تهجير الفلسطينيين بعد احتلالهم غزة والضفة الغربية عام ١٩٦٧، ثم تصاعدت مقاومة هذا الشعب الذي زعم الصهاينة أنه لا وجود له. وقد تناولت هذا الجانب في الدراستين التاليتين: **الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة**، ومن **الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية**، وكلاهما يوجد على موقعي الإلكتروني .www.elmessiri.com

Preview sample - page 7 of 13 - Soran University Academic Digital Library

أما التناقض بين الرؤية الصهيونية الفاشية للهوية اليهودية والواقع الثري غير المتجانس لأعضاء الجماعات اليهودية، وهو تناقض ظهر منذ بداية الحركة الصهيونية والاستيطان الصهيوني في فلسطين، ظل كامناً حتى عام ١٩٤٨ حين أعلن تأسيس الدولة الصهيونية التي أصدرت قانون العودة الإسرائيلي الذي يؤكد أنه «يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل». وقد نسي من أصدروا القانون (أو تناسوا) أن يُعرّفوا من هو اليهودي الذي يحق له الهجرة إلى فلسطين المحتلة بموجب هذا القانون، وما هي اليهودية التي يؤمن بها؟ وقد أدى هذا إلي إثارة سؤال الهوية داخل المستوطن الصهيوني، مع هجرة الآلاف من أعضاء الجماعات اليهودية، يحمل كل منهم ميراثه الديني والإثني، ويتسم كل منهم بهوية إثنية/ دينية خاصة لم يستمدها من هوية يهودية عالمية وإنما استمدها من المجتمع الذي كان يعيش في كنفه. وقد لجأت المؤسسة الصهيونية الحاكمة إما إلى تجاهل هذا السؤال، أو تأجيل النظر فيه، أو الوصول إلى حلول تلفيقية مؤقتة نظراً لعدم التوصل إلى حد أدنى من الاتفاق حوله، وهو ما عبر عنه أحد المعلقين الإسرائيليين بقوله: إنه «مع مرور السنين، اتضح شيئا فشيئا أنه لا تتوفر إمكانية لتكوين إجماع وطني بخصوص هذه القضية». كما أن الدولة التي تعتمد على الدعم الخارجي بشكل كامل، هي ذاتها طفيلية. وحين فتحت أبوابها، هاجر إليها عشرات الآلاف من المهاجرين الذين نصفهم بأنهم مجرد مرتزقة، لا يؤمنون بالمثل الأعلى الصهيوني أو أي مثاليات، فهم كائنات طفيلية شرهة تبحث عن الحراك الاقتصادي، بأي شكل، حتى لو كان ادعاء اليهودية، وحتى لو كان احتلال أراضي الآخرين وطردهم من وطنهم.

ويحق لأي باحث أن يسأل: هل يمكن تأسيس «دولة يهودية» دون تعريف الهوية اليهودية، ودون التوصل إلي تعريف من هو اليهودي؟ هذه القضية أو الإشكالية التي لا يعطيها الإعلام العربي ما تستحقه من أهمية، هي التي يحاول هذا الكتاب إلقاء الضوء عليها. وقد يقول قائل: إن هذه الإشكالية من «مخلفات الماضي»، وأنها من الأمور الشكلية غير العملية لأنها لا تؤثر في سلوك المستوطنين الصهاينة. ولكن مثل هذا القول سيكون من قبيل تطبيع النسق السياسى الاستعماري الصهيونى، أى النظر إليه كما لو كان نسقا سياسيا عاديا وليس كيانا استيطانيا إحلاليا، له ظروفه الخاصة.

Preview sample - page 8 of 13 - Soran University Academic Digital Library

فتعريف اليهودى مسألة أساسية للعقد الاجتماعى الصهيونى. فإذا كان تعريف المسيحي، على سبيل المثال، في الولايات المتحدة مسألة شكلية وتهم المسيحين وحدهم، فإن هذا يعود إلى أن حكومة الولايات المتحدة لا تبحث عن شرعية مسيحية، ذلك أن مصادر شرعيتها تقع خارج نطاق الديانة المسيحية، بل وربما خارج التراث المسيحي ككل. أما الدولة الصهيونية فهي تدعي أنها يهودية وأنها تجسد قيما (إثنية دينية أو دينية قومية) يهودية، وأنها استمرار للدولة اليهودية القديمة (ولذا يطلق الصهاينة على إسرائيل اصطلاح «الهيكل الثالث»، باعتبار أن هيكل سليمان هو «الهيكل الأول»، وأن هيكل هيرود هو «الهيكل الثاني»). وانطلاقا من هذا، تطلب الصهيونية من اليهود «العودة» إليها في أحسن تقدير، أو إلي الالتفاف حولها ودعمها في أسوئه، وباسم هذه الهوية اليهودية المزعومة تقوم أيضا بضم الأراضي وطرد أصحابها. ولذا فالفشل في تعريف اليهودي يضعف من مقدرتها التعبوية، بل ويضرب أسطورة الشرعية الصهيونية فى الصميم. والصهاينة أنفسهم يدركون هذا تمام الإدراك، ومن هنا إصرارهم على ما يسمونه «تهويد» كل شىء فى فلسطين: التاريخ، والآثار، وأسماء القرى والمدن، وأخيرا تغيير اسمها هى نفسها، فتصبح فلسطين، بعد غزوها واحتلالها والاستيطان فيها، «إسرائيل». بل تزيد الشهية وتتسع الشهوة وتسمى أراضى الضفة الغربية «يهودا والسامرة»، ويعاد تسميه هذه الأراضي التى احتلت وتلك التى يشتهون احتلالها (ضفتي نهر الأردن ـ من النيل إلى الفرات) «إرتس يسرائيل».

إن قضية تعريف اليهودي ليست قضية دينية أوسياسة وحسب، بل قضيه مصيرية تنصرف إلى رؤية العالم والذات، وإلى الأساس الذي يستند إليه تضامن المجتمع الصهيوني، وإلى مصادر شرعيته. ولا يوجد أى حل لهذه القضية، كما نبين طى هذه الدراسة، ففكرة أن اليهود يشكلون شعبا بلا أرض، لا تقل فى زيفها وكذبها عن أن فلسطين أرض بلا شعب. وإذا كان الشعب العربى الفلسطينى يقاوم هذه الأكذوبة، ويثبت من خلال أشكال النضال كافة أن فلسطين أرض عربية، مأهولة بسكانها العرب، فإن الواقع الإثنى والعرقى للمستوطنين الصهاينة فى فلسطين المحتلة، وللجماعات اليهودية خارجها، يتحدى الأطروحات الصهيونية ويبين طبيعتها الاختزالية الفاشية.

Preview sample - page 9 of 13 - Soran University Academic Digital Library

ولعل هذا الموقف يطرح عدة قضايا أخرى مثل: من هو المفكر اليهودي؟ ومن هو المثقف اليهودي؟ ومن هو الأديب اليهودي؟ ومن هو الفنان اليهودي؟ بل ومن هو الصهيوني؟ فبن جوريون نفسه: قال إن الصهيوني هو من يهاجر إلى الدولة الصهيونية ويستوطن فيها، وما عدا ذلك، فهو مجرد محب لصهيون. بل إن سلوك أعضاء هذه الجماعات يتراوح بين رفض واضح وصريح للصهيونية ورفض مراوغ لا يعلن عن نفسه، وإنما يأخذ أشكالاً كثيرة من أهمها رفض الهجرة إلى فلسطين المحتلة والاستيطان فيها.

وقد حاولت قدر استطاعتي في هذه الدراسة أن أتكشف هذه القضية المحورية والمركبة، وأن أحيط بكل أبعادها المتشابكة وهي كثيرة ومتعددة. وقد ابتعدت قدر استطاعتي عما أسميه الوحدة العضوية (أي أن تكون أجزاء البحث في ترابطها تشبه ترابط أعضاء الكائن الحي). فمثل هذه الوحدة تستبعد كثيراً من المعلومات إن لم يكن من المستطاع ربطها بشكل عضوي مع بقية المعلومات الأخرى. ولذا أتبني في هذه الدراسة، وكل دراساتي الأخرى، ما أسميه بـ «الوحدة الفضفاضة». فإذا كانت الوحدة العضوية تشبه الثوب الضيق، فالوحدة الفضفاضة تشبه الثوب الواسع، وإذا كانت الوحدة العضوية تؤدي إلي الاستبعاد فإن الوحدة الفضفاضة تؤدي إلي الاستبقاء والشمول. وهذا يعني أنه ليس من الضروري أن تترابط المعلومات التي ترد في الدراسة بشكل عضوي مصمت صارم، و إنما بطريقة فضفاضة، تسمح بوجود ثغرات، و لكنها في ترابطها وتجاورها توصل للقارئ المعاني الثرية المركبة، التي لا يمكن توصيلها من خلال الوحدة العضوية.

وتنقسم هذه الدراسة إلي ثلاثة أبواب. فحاولت في الباب الأول («تنوع الهويات اليهودية») أن أقوم بتفكيك مفهوم «الوحدة اليهودية العالمية»، والذي يتفرع عنه مفهوم «الهوية اليهودية الواحدة العالمية»، وذلك عن طريق استعراض السمات المختلفة والمتنوعة والمتناقضة لعشرات الجماعات اليهودية الرئيسية (مثل السفارد والإشكناز) و الهامشية (مثل يهود الهند والصين والقوقاز والدونمة)، وبينت مدي عدم تجانسها علي كل من المستوي الإثني (الثقافي والحضاري) والمستوي الديني. كما حاولت أن أبين في نفس الباب أن الهويات اليهودية لها تاريخ، وأنها تظهر تحت

Preview sample - page 10 of 13 - Soran University Academic Digital Library

ظروف تاريخية وجغرافية واجتماعية معينة وتختفي تحت ظروف أخري، أي أن الهوية اليهودية ليست عالمية ولا واحدة ولا توجد خارج الزمان والمكان. وكل هذا جزء من محاولة تفكيك المفهوم الصهيوني وتوضيح أنه لا علاقة له بواقع الجماعات اليهودية في العالم.

وقد حاولت في الباب الثاني أن أبين من خلال دراسة «تواريخ وثقافات وفنون الجماعات اليهودية» (وهذا هو عنوان الباب) مدي عدم تجانس الجماعات اليهودية في العالم، وأن كل جماعة لا تستمد خطابها الحضاري (وثقافتها وفنونها) من ثقافة يهودية عالمية، وإنما من المجتمع الذي تعيش في كنفه.

وحاولت في الباب الثالث والأخير («سؤال الهوية وأزمة المجتمع الصهيوني») أن أبيّن كيف أن التناقض بين الرؤية الصهيونية لما يسمي الهوية اليهودية وواقع الجماعات اليهودية، في تنوع هوياتها وتواريخها أدي إلي طرح السؤال الذي يزلزل الكيان الصهيوني من آونة إلي أخري، والذي لم تجد الدولة اليهودية أي إجابة عنه حتى الوقت الحاضر وهو سؤال: من هو اليهودي؟

ويتصور البعض أن أزمة التجمع الصهيوني في تنوعها واحتدامها وتصاعدها ستؤدي إلي انهياره من الداخل، بل يتصورون أحيانا أنني بدراسة تناقضات المجتمع الصهيوني و رصد مشاكله وهزائمه أتبني، بل وأبشر، بهذا الوهم. وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فأنا أذهب إلي أن المجتمع الصهيوني لن ينهار من الداخل لأن مقومات حياته ليست من داخله، وإنما من خارجه، إذ يوجد عنصران يضمنان استمراره، رغم كل ما يعتمل داخله من تناقضات، وهما الدعم الأمريكي و الغياب العربي. ولذا ما سيؤدي إلي انهيار الكيان الصهيوني العنصري ليست تناقضاته الداخلية وإنما الاجتهاد و الجهاد العربي، فهما وحدهما الكفيلان بذلك. هذا لا يعني تجاهل هذه التناقضات، فمن الضروري فهمها و توظيفها في صراعنا ضده.

وسيلاحظ القارئ أنه قد يكون هناك بعض التكرار. وهذا يعود إلى أن ثمة أطروحة واحدة تسري في كل أجزاء الكتاب، ونموذج تفسيري واحد أحاول من خلاله تفكيك المصطلحات والمفاهيم والادعاءات الصهيونية. تتنوع المصطلحات والمفاهيم

Preview sample - page 11 of 13 - Soran University Academic Digital Library

وتختلف المجالات، ولكن تظل الأطروحة الأساسية كما هي، كما يظل النموذج التحليلي التفسيري واحداً لا يتغير.

وقد طلب مني الابن والصديق العزيز سيف سلماوي، مسئول النشر في دار الشروق، أن أُحدِّث كتاب **من هو اليهودي؟** الذي صدر في عدة طبعات. وحين بدأت عملية التحديث وجدت أنه توجد مادة ضخمة في **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** وفي المقالات الأسبوعية التي أنشرها في جريد **الاتحاد** الإماراتية تلقي الكثير من الضوء على الموضوع وتبيّن آخر تطوراته. كما وجدت أنني بسبب المتابعة اليومية لما يدور داخل إسرائيل تراكم عندي الكثير من المعلومات والمعطيات التي لا يمكن تجاهلها. فكان من الطبيعي أن أستعين بكل هذه المواد في عملية تحديث الكتاب. وحينما انتهيت من العمل وجدت أن الكتاب الذي كنت أنوي تحديثه لا يشكل سوى عشرة في المائة من الدراسة التي بين يدي القارئ.

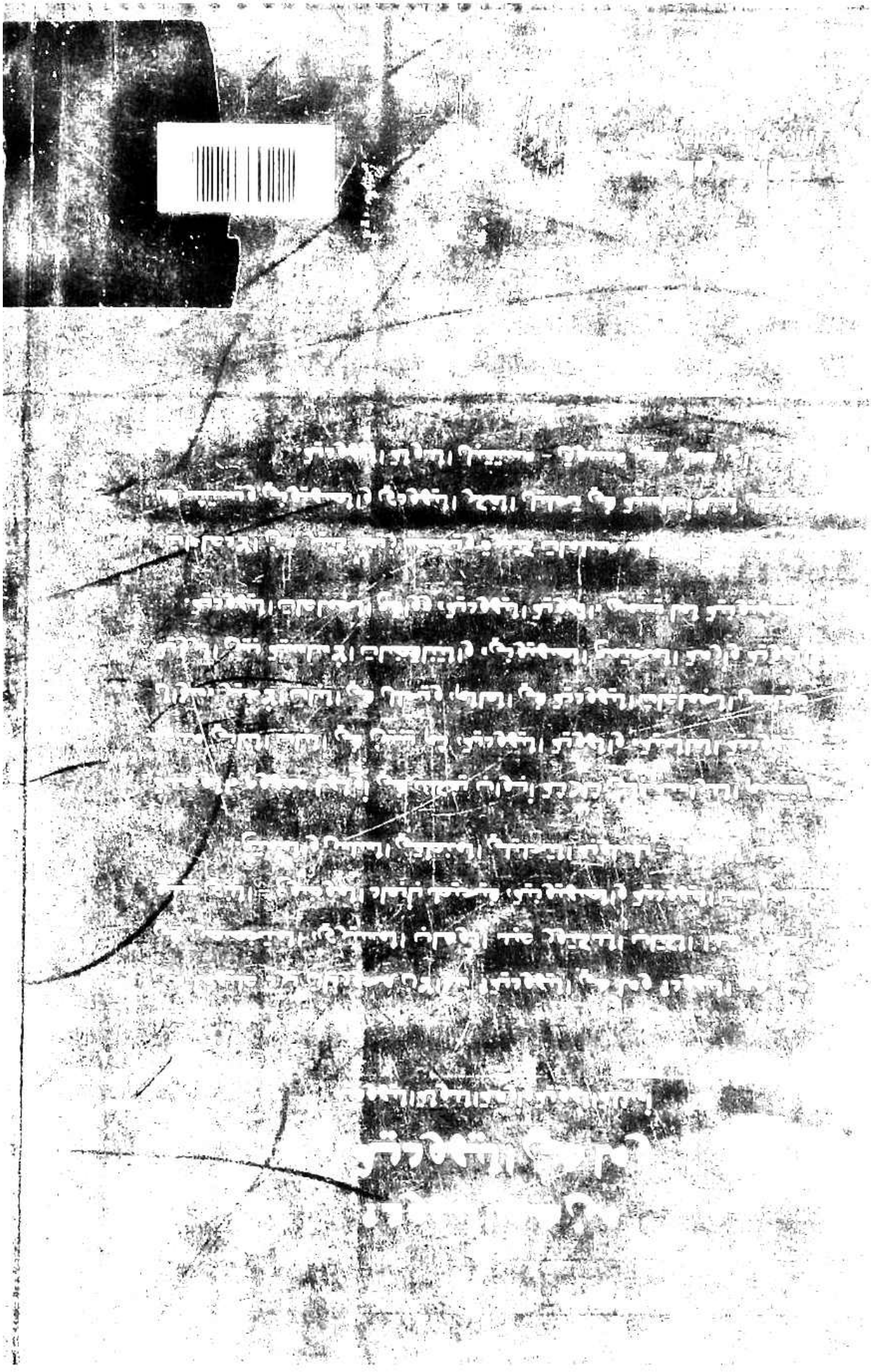
وهذا العمل، مثل معظم أعمالي الأخرى، نتيجة جهد جماعي. ولذا أتوجه بالشكر للأستاذة نادية رفعت التي قامت بكتابة الجزء الخاص بموسيقى ورقصات الجماعات اليهودية (الباب الثاني، الفصل الثالث)، ولكل من الدكتورة دينا رمضان، المدرس بكلية البنات جامعة عين شمس، والأستاذ فضل عمران، والمهندس علي الرجال، والأستاذة أماني عبد الخالق، فقد ساهم، كلٌ بطريقته، في أن يخرج هذا العمل على هذه الصورة، ومع هذا يظل ما جاء فيه من أفكار مسئولية المؤلف وحده.

والله من وراء القصد.

دمنهور ـ القاهرة

يناير ٢٠٠٨

Preview sample - page 12 of 13 - Soran University Academic Digital Library



Preview sample - page 13 of 13 - Soran University Academic Digital Library